بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة يسيرة من آداب المُتعلمين والمُعلّمين

يَتعيَّن على أهل العلم على وجهِ الخُصُوص أنْ يجعَلُوا أسَاس أمرِهم في تعلّمهم وتَعليمِهم: (**الإخلاصُ الكَامل**)، والتقرُّب إلى الله بهذه العبادة التي هي أجلُّ العبادات وأفضلُها، وتستغرق من عُمر العبدِ جَوْهَرَه وصَفْوَه، ويتفقّدوا هذا الأصل في كلِّ دقيقٍ وجليلٍ من أمُورهم، (فإنْ دَرَسُوا أو دَارَسُوا، أو بحثُوا أو نَاظروا، أو أَسْمَعوا أو اسْتَمعوا، أو جَلسُوا مجلِسَ علْمٍ، أو نقَلوا أقْدَامهُم لمجالس العِلْمِ، أو كَتبُوا، أو حَفِظُوا، أو كَرَّرُوا دُروسَهم الخَاصة، أو رَاجعوا عليها أو على غيرها الكتبَ الأخرى، أو اشتروا كِتبًا، أو ما يُعين على العِلم)، **كانوا في ذلك كلِّه مُحتَسِبين** ليتحقّقوا بقوله ﷺ: « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ** »[رواه مسلم: 2699]. فكلُّ طريق **حسّي** أو **معنوي** يسلكه الإنسان في سبيل العلم، فإنه داخلٌ في هذا الحديث.

ثمَّ بعد هذا يتعيَّن البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية ووسائلها.

وتفصيل هذه الجملة كثيرٌ معروفٌ، والطريق التقريبيُّ أنْ ينتقيَ من مُصنفات الفن الذي يشتغل به أحسنَها وأوضَحها وأكثرَها فائدةً، ويجعلَ هذا الكتاب جُلَّ همِّه حِفظًا عند الإمكان، أو دراسةَ تكريرٍ، بحيث تَصِيرُ المعَاني معقُولَةً في قلبه محفُوظَةً، ثُمَّ لا يزال يُكرِّره ويُعيدُه حتى يُتقِنَه إتقانًا طيبًا، وبعد ذلك ينتقل إلى الكُتب المبسُوطة في هذا الفَن؛ لتكُون كالشَّرح لَهُ، ويكُون كتابه الذي اهتم به ذلك الاهتمام أسَاسًا لها وأصلاً تتفرَّع عنْهُ.

آداب المُعلِّم

وعلى المُعلّم أن ينظُر إلى ذهن المُتعلِّم، وقوّة استعداده، أو ضُعفه، فلا يدعه يشتغل بكتاب لا يناسِبُ حالَه؛ فإنَّ **(القليلَ الذي يفهَمُه وينتفِعُ به، خيرٌ من الكثير الذي هُو عرضَةٌ لنِسيَان معناه ولفظه)**.

وعلى المُعلّم أن يُلقي على المُتعلِّم من التوضيح وتبيين المعنى بقدر ما يتّسع فهمه لإدراكه، ولا يخلط المسائل بعضها ببعض، ولا ينتقل من نوع إلى آخر حتى يتصوّر ويحقق السابق، فإنّ ذلك دَرك للسابق، ويتوفر الذهن على اللاحق.

وعلى المُعلّم النُصح للمتعلِّم، وترغِيبه بكلِّ ما يقدر عليه، وأن يصبر على عدم إدراكه، أو سوءِ أدبه، مع ملاحظته في كلِّ ما يُقوِّمه ويُحسِّن أدبه؛ لأنَّ المُتعلِّم له حقٌّ على المُعلِّم، حيث أقبل على العلم الذي ينفعه وينفع الناس، وحيث كان ما يحمله عن مُعلِّمِه هو عين بضاعَة المُعَلِّم، يحفظها ويُنمِّيها ويتطلب بها المكاسب الرَّابحة، فهو الولد الحقيقي للمعلِّم، الوارث له، فالمعلِّم مُثابٌ على نفس تعليمِهِ، سواء فهِمَ أو لم يفهَم، فإنْ فهم وأدرك كان أجراً جاريًا للمعلِّم ما دام ذلك النفع متسلسلاً، وهذه تجارةٌ عظيمةٌ **لمثلها فليتنافس المتنافسون**.

فعلى المُعلّم إيجادُ هذه التجارة وتنميتها، فهي من عَملِه وآثار عمله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ [يس: 12]، فـ﴿مَا قَدَّمُوا﴾: هو ما باشروا عمله. ﴿وَآثَارَهُمْ﴾: ما ترتَّب على أعمالهم من الخير الذي عمِلهُ غيرُهم.

آداب المتعلم

وعلى المتعلم أن يوقِّر معلِّمه، ويتأدَّب معهُ؛ لما له من الحق العام والخاص:

أمَّا العام: فإنّ معلِّمَ الخيرِ قد استعدَّ وباشر نفعَ الخلق، فوجب حقُّه عليهم؛ لكونه يُعلِّمُهم ما جَهِلُوا، ويُرشدهم إلى كلّ خير، ويحذِّرُهم من كل شرٍّ، ويحصل به من نشر العلم والدين، وتسلسل ذلك النفع في الموجودين، وفيمن يأتي من بعدهم، وهذا النفع ليس له نظير من الإحسان.

وأما حقُّه الخاص على المُتعلم: فلِمَا بذلَهُ من تعليمِهِ، وحِرصِه على كُلِّ مَا يُرشدُه ويُوصِلُه إلى أعلى الدَّرجَات، وقدْ بَذَلَ صَفْوَةَ وَقتِهِ، وجَوهَرَ فِكره، في تفهيم المُسترشِدين، وإفادةِ الطَّالبين، وصبَرَ على ذلك بطيبِ نفْسٍ وسماحةٍ، وإذا كانت الهداية الدينية، والإحسان الدنيوي، يُوجِبُ لصاحبه حقًا كبيراً على مَنْ وَصَلَ إليه إحسانُه، فما الظن بهدَايا العُلوم النافعة الكثيرة، الباقي نفعها! العظيم وقعها!

وليجلسْ بين يديه متأدِّبًا، ويظهر غاية حاجته إلى علمِه، ويكْثِر من الدعاء له حاضراً وغائبًا، وإذا أتحفَهُ بفائدة غريبة فَلْيُصغِ إليه إصغاءَ المُضطر إلى عقلها والانتفاع بها.

وإذا أخطأ المُعلّم في شيء فلينَبِّههُ برفقٍ ولُطفٍ بحسَبِ المقَام، ولا يقول له: (أخطأت)!! أو: (ليس الأمر كما قلت)!! بل يأتي بعبارة لطيفة يدرك بها المعلِّم خطأَهُ من دُون تشويش؛ **فإنَّ هذا من الحقوق اللازمة**، وهو أدعى إلى الوصول إلى الصَّواب.

والمُعلِّمُ عليه إذا أخطأ أن يرجعَ إلى الصَّوابِ، ولا يمنعهُ قولٌ قالَه ثُمَّ بانَ له الحقُّ بخلافِه أن يراجعَ الحقَّ ويعترفَ به؛ فإنَّ هذا علامةُ الإنصافِ والتواضع للحقِّ وللخلقِ. ومن نعمة الله على المعلِّم أن يجد من تلاميذه من ينبِّهه على خطئه، ويرشده إلى الصَّوابِ.

ولهذا كان مِنْ أعظَمِ الواجبات على المُعلِّمين والمُفتين أن يتوقَّفُوا عن الفتوى أو الجزم بما لم يعلَمُوه، وهذا من علامات الدِّين والإنصاف، وضِدُّه من علاماتِ الرِّياءِ وضعف الدين، بل هذا التوقف من التعليمات النافعة؛ ليحصل به القدوة الحسنة.

آداب مشتركة

وليكن قصدُ المُعلِّمين والمُتعلِّمين في جميع بُحوثهم: طلبُ الحقِّ والصَّواب، واتِّباعُ ما رَجَّحتهُ الأدلة الصَّحيحة.

والحذر الحذر من الاشتغال بالعلم للأغراض الفاسدة، من المُباهاة، والمماراة، والرياء، والرياسات، والتوسل به إلى الأمور الدنيوية، فمن طلبه لهذه الأمور فليس له في الآخرة من نصيب.

ومن أعظم ما يتعيَّن على أهل العلم من المعلِّمين والمتعلِّمين: الاتصافُ بما يدعُو إليه العلمُ من الأخلاق الجميلة، والتنزُّه عن الأخلاق الرذيلة؛ فإنَّهم أحقُّ النَّاس بذلك؛ لتمَيُّزهم بالعلم؛ ولأنَّهم القُدوةُ، والنَّاس مَجبُولُون على الاقتداء بأهل العلم منهم؛ ولأنَّه يتطرق إليهم من الاعتراض ما لا يتطرق لغيرهم.

والعلم إذا عمِلَ به ثبتَ ونمتْ بركتُه، فرُوحُ العلمِ وحياتُه بالقيام به عملاً، وتخلّقًا، وتعليمًا، ونصحًا.

وينبغي تعاهدُ محفوظات المتعلِّمين ومعلُوماتهم بالإعادة والامتحان، والحث على المذاكرة والمراجعة، وتكرار الدروس الحاضرة والسابقة.

فالتعلّمُ بمنزلةِ الغراس والبذورِ للزرع، وتعاهُدُه بالمذاكرة والتَّكرَار بمنزلة السقي، وإزالة الأشياء المُضرَّة؛ لينمو ويزداد على الدوام.

وليحذر أهل العلم من الاشتغال بالتفتيش عن أحوال الناس وعيبهم؛ فإنَّه مع أنَّ صاحبَه مستحقٌّ للعقوبة، فإنَّه يشغل عن العلم، ويصدُّ عن كلِّ أمرٍ نافع.

ومن آداب العالِم والمُتعلِّم: النّصح، وبثّ العُلوم النافعة بحسب الإمكان، حتى لو تعلَّم الإنسانُ مسألةً وبثَّها وبحث بها مع من يتَّصِلُ به، كان ذلك من بركة العلم وخيره، و(من شحَّ بعلمه مات علمُه قبل أن يموت)، كما أنَّ من بث علمَهُ كان له حياةً ثانية، وجازاهُ الله من جنس عمله).

ومن أهم ما يتعيَّن على أهل العلم: السعيُ في جمع كلمتهم، وتأليف القلوب؛ لأنَّ هذا من أوجب الواجبات، وخصوصاً على أهل العلم الذي بهم الأسوة، وبه يحصل خيرٌ كثيرٌ، ويندفع شرٌّ كبيرٌ، والحذر من الحسد لأحدٍ من أهل العلم؛ فأنَّهُ يأكل الحسنات كما تأكل النَّارُ الحطب، وهو مُنافٍ للنصيحة التي هي الدين. والله أعلم.

تم النقل من رسالة: "نورِ البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب" للعلامة السعدي رحمه الله/ www.binsaadi.com

---

وللشيخ رحمه الله رسالة أخرى مطولة في آداب المعلمين والمتعلمين، ضمن الفتاوى السعدية، ومما قاله رحمه الله:

"واعلم أن القناعة باليسير من الرزق والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوبٌ من كل أحد، لا سيما المشتغلون بالعلم، فإنه كالمتعيَّن عليهم، لأنَّ العلم وظيفةُ العمر كله أو معظمه، فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية والضروريات حصل النقص بسبب ذلك، والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لحصر الأشغال الدنيوية وإقبال المتعلِّم على ما هو بصدده". اهـ

تمت بحمد الله

